دور الضحية فى الاعتداء الجنسى
بين المشكلة وآليات المواجهة

صابر عبد الموجود *

تهدف هذه الورقة إلى إلقاء الضوء على دور الضحية الإيجابى والسلبى فى الاعتداء الجنسى بكل أشكاله وذلك من خلال تحليل كيفى لعدد من الدراسات والبحوث الميدانية والنظرية حول الاعتداء الجنسى أو أحد أشكاله (التحرش الجنسى والاغتصاب). حيث تبدأ الورقة بالإشارة إلى مدى انتشار الاعتداء الجنسى عالمياً وإقليمياً ومحلياً. ثم تتناول اللوم الذى تتعرض له ضحية الاعتداء الجنسى من قبل المجتمع على الرغم من كل ما يصيبها نتيجة هذا الاعتداء. وتحدد الورقة المقصود بالاعتداء الجنسى وضحية الاعتداء الجنسى. ثم تتناول دور الضحية فى حدوث الاعتداء الجنسى أو تجنبه أو تكراره أو زيادة أو خفض آثاره من خلال ثلاثة محاور: يتناول المحور الأول النظريات المفسرة للاعتداء الجنسى وما تطرحه هذه النظريات من دور للضحية فى حدوث الاعتداء الجنسى. ويتناول المحور الثانى المتغيرات التى تسهم فى حدوث الاعتداء الجنسى ودور الضحية فى حدوث هذا الاعتداء. ثم يتناول المحور الثالث الاستجابة للاعتداء الجنسى على المستويات المختلفة (الفردى والجماعى والمجتمعى) واستجابة الضحية على الاعتداء الجنسى فى المراحل المختلفة منه ومدى إسهام هذه الاستجابة فى تكرار الاعتداء الجنسى أو توقفه. وتنتهى الورقة بخاتمة تستعرض أهم الاستنتاجات .

مقدمة

يعد الاعتداء الجنسى sexual assault من المشكلات التى تضرب بجذورها عبر التاريخ حيث شهدت المجتمعات الإنسانية القديمة أشكالاً مختلفة ومتعددة من حالات الاعتداء الجنسى[١]. وفى الوقت الحاضر، يُعد الاعتداء الجنسى أيضًا من المشكلات التى تعانى منها شعوب العالم أجمع، حيث تشيرعديد من التقارير البحثية

* مدرس، علم النفس، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية.

المجلة الاجتماعية القومية، المجلد الحادى والخمسون، العدد الثانى، مايو ٢٠١٤.

إلى انتشاره فى كثير من بلدان العالم؛ ففى دراسة أجرتها منظمة الصحة العالمية (WHO) على ٢٤٠٠٠ سيدة وفتاة تتراوح أعمارهن بين ١٥ و٤٩ عام يقطنون فى مناطق حضرية وريفية فى عشر دول مختلفة تبين أنه من ١٪ إلى ٢١٪ من العينة تعرضن لإساءة جنسية فى الطفولة، ومن ٦٪ إلى ٥٩٪ من العينة تعرضن لعنف جنسى من الشريك (زوج أو صاحب) فى وقت ما خلال حياتهن[٢] . وتبعًا لصندوق الأمم المتحدة للسكان (UNFPA) فإن مركز زينيكا لتسجيل جرائم الحرب فى البوسنة عام ١٩٩٣ قد سجل ٤٠ ألف حالة اغتصاب جنسى. وفى عام ٢٠٠٣ تعرض ٧٤٪ من عينة عشوائية مكونة من ٣٨٨ سيدة فى مخيم للاجئين فى سيراليون للاعتداء الجنسى قبل تهجيرهن من ديارهن فى ليبيريا[٣].

وتعانى كثير من الدول المتقدمة من انتشار حوادث الاعتداء الجنسى؛ ففى دراسة لتستا Testa وديرمن Dermen وجدا أن نسبة كبيرة من النساء فى أمريكا الشمالية تتعرض للاعتداء الجنسى، حيث تشير التقديرات إلى أن حوالى ١٪ من العينات الممثلة للجمهور العام وحوالى ٥٪ من العينات الممثلة لجمهور الطالبات تتعرض للاغتصاب سنويًا[٤]. وفى عرضها لمدى انتشار الاعتداء الجنسى فى الولايات المتحدة الأمريكية تشير دايجل Daigle إلى أنه تبعًا للتقرير الرسمى للجريمة فى الولايات المتحدة الأمريكية بلغت حالات الاغتصاب ٢٨.٧ من كل ١٠٠,٠٠٠ سيدة عام ٢٠٠٩[٥]. وبالطبع ليست الدول الأقل تقدمًا بمنأى عن حوادث الاعتداء الجنسى؛ ففى عينة من ٧٦٤ من طالبات المدرسة الثانوية فى شرق أثيوبيا سجل ٦٤٪ من العينة تعرضهن للاعتداء الجنسى مرة على الأقل[٦]. وفى دراسة مسحية لمنظمة الصحة العالمية على بعض الدول بلغت نسبة النساء فى السن من ١٥ إلى ٤٩ اللاتى تعرضن لعنف جنسى من شركائهن (الزوج أو الصديق فى علاقة جنسية) ٤٩.٧٪ فى بنجلادش و ٣٠.٧٪ فى تنزانيا و١٦.٥٪ فى ناميبيا[٧].

وعلى مستوى العالم العربى، رغم الصعوبات التى تكتنف الإحاطة بحجم الظاهرة بالإضافة إلى العادات والتقاليد فى المجتمعات العربية التى قد تعيق البحث

فى مثل هذا الموضوع (الاعتداء الجنسى)، فإن هناك بعض البحوث والتقارير العلمية التى تشير بوضوح إلى تفاقم حجم مشكلة الاعتداء الجنسى لاسيما فى ظل عدم الاستقرار السياسى والاجتماعى الذى تعانى منه هذه المجتمعات؛ فعلى سبيل المثال، فى دراسة فلسطينية حديثة نسبيًا (٢٠٠٩) على عينة مكونة من ٣٩٠ طفل وطفلة من فلسطين تتراوح أعمارهم من ٨ إلى ١٥ عامًا تبين أن ٧٪ من هؤلاء الأطفال قد تعرضوا لشكل أو آخر من أشكال الاعتداء الجنسى و٦٠٪ من الأطفال الذين تعرضوا للاعتداء الجنسى لم يطلبوا المساعدة من أحد لا أثناء ولا بعد وقوع الاعتداء[٨].

أما على المستوى المحلى (مصر) فإن الاعتداء الجنسى من أكثر الموضوعات التى تثار بوصفها مشكلة واسعة الانتشار؛ ففى حلقة نقاشية بعنوان "التحرش الجنسى بين القانون والمواجهة المجتمعية" تم عرض عدد من البحوث الميدانية والتقارير الأمنية التى تشير بوضوح إلى تزايد حالات الاعتداء الجنسى خاصة حالات الاغتصاب وهتك العرض[٩].وفى دراسة مسحية أجريت على ١٠١٠ سيدة مصرية و١٢٠سيدة أجنبية مقيمة فى مصر و١٠١٠ رجل مصرى أشارت ٨٣٪ من السيدات فى عينة الدراسة إلى تعرضهن للتحرش الجنسى[١٠]. وفى دراسة على عينة من ١٤٠ سيدة مصرية أشارت ٧٦.٤٪ منهن إلى تعرضهن للتحرش الجنسى مرة أو أكثر من مرة[١١]. ومن المتوقع أن تزداد نسب الاعتداء الجنسى لا سيما فى ظل التغييرات السياسية التى تمر بها البلاد وما واكبها من مشكلات مادية واجتماعية.

الهدف من الورقة

تهدف هذه الورقة إذن إلى التعرف على مدى إسهام ضحية الاعتداء الجنسى سواء فى حدوث الاعتداء أو تكرار حدوثه أو زيادة أو خفض آثاره وما يترتب عليه من مشكلات، وذلك من خلال تحليل ما هو متاح للباحث من الأدبيات العلمية التى تناولت الاعتداء الجنسى. ويعرض الباحث لموضوع الورقة من خلال ثلاثة محاور: **يتناول المحور الأول** النظريات المفسرة للاعتداء الجنسى وما تطرحه هذه النظريات من دور للضحية فى حدوث الاعتداء الجنسى ويتناول **المحور الثانى** المتغيرات التى تسهم فى حدوث الاعتداء الجنسى ودور الضحية فى حدوث هذا الاعتداء. **ويتضمن المحور الثالث** الاستجابة للاعتداء الجنسى على المستويات المختلفة (الفردى والجماعى والمجتمعى) واستجابة الضحية على الاعتداء الجنسى فى المراحل المختلفة منه، ومدى إسهام هذه الاستجابة فى تكرار الاعتداء الجنسى أو توقفه. وفى نهاية الورقة نقدم خاتمة نستعرض فيها سريعاً أهم الاستنتاجات والتضمينات المختلفة لما جاء فى الورقة.

تعريف المفاهيم

يجدر الوقوف أولاً على مفهوم الاعتداء الجنسى والمفاهيم المتداخلة معه أو المختلطة به وكذلك أنواعه وأبعاده وخصائصه، ثم نتناول ثانيًا مفهوم ضحية الاعتداء الجنسى ومن يشملهم هذا المفهوم.

أولاً: تعريف الاعتداء الجنسى

يشمل مفهوم الاعتداء الجنسى عدة مفاهيم فرعية، كما أنه يتداخل أو يتقاطع مع مفاهيم أخرى، وليس بالضرورة أن تكون المفاهيم التى تنطوى تحت هذا المفهوم مستقلة بل قد تتداخل هى الأخرى أو تنطوى على مفاهيم أكثر تحديدًا ؛ فمثلاً العنف الجنسى Sexual Violence– وهو أحد المفاهيم التى يتداخل معها الاعتداء الجنسى فى الورقة الحالية– ينطوى هو الآخر على عدد من المفاهيم مثل الاغتصاب Rape

والتحرش الجنسى Sexual Harassment. وفيما يلى المقصود بكل مفهوم من هذه المفاهيم فى سياق هدف هذه الورقة ومنهج التناول.

المفاهيم المختلطة بمفهوم الاعتداء الجنسى والمتداخلة معه

أ- العنف الجنسى

يختلط مفهوم العنف الجنسى فى كثير من الكتابات العلمية مع مفهوم العنف المبنى على النوع Gendered Violence أو ما يطلق عليه فى سياقات أخرى العنف الموجه إلى النساء Violence Towards Women أو عنف الرجالMale Violence. وقد ميز كابلر Kappler بين كلا النوعين من العنف فى أن الأول (العنف الجنسى) له هدف واضح لدى المعتدى ومرتبط بالجنس sex بشكل أساسى والتحرش الجنسى أحد أنواعه، فى حين أن العنف المبنى على النوع قد لا يكون الهدف منه واضح لدى مرتكبيه كما أنه مرتبط بتقاليد ثقافية واجتماعية وله علاقة بمفهوم المجتمع الذكورى Patriarchy، ويعد ختان الإناث Female Genital Mutilation أحد الأمثلة عليه(١٢)، غير أن بعض الكتابات العلمية تتناول العنف ضد المرأة بوصفه شامل للعنف الجنسى(١٣) وليس بوصفهما مفهومان مختلفان.

ويُنظر إلى العنف على أن له أشكال متعددة أحدها العنف الجنسى بوصفه عدوانًا بدنيًا أو الجانب البدنى من السلوك العدوانى(١٤). وبناء على ذلك المنظور للعنف فإن العنف الجنسى ينطوى على استخدام للقوة البدنية لممارسة الجنس دون رغبة الطرف الآخر، وهو بذلك أقل شمولاً من مفهوم الاعتداء الجنسى الذى ينطوى على استخدام كل الوسائل سواء بدنية أو لفظية أو حتى إشارات أو رسائل عبر الهاتف أو الانترنت. ومن ناحيةٍ أخرى يختلط مفهوم العنف الجنسى مع أنواع من العنف لا تُعد موضع اهتمام فى هذه الورقة وهو العنف الموجه ضد النساء.

ب- الإساءة الجنسية Sexual Abuse

عادة ما يرد مصطلح الإساءة الجنسية أو الاستغلال الجنسى* فى الدراسات التى تجرى على الأطفال، كما يرتبط فى كثير من الأحيان بمصطلح الطفولة أو الأطفال(١٥). وتذكر جنان أسطا وآخرون التعريف الوارد فى القانون الفيدرالى للوقاية من الإساءة الجنسية للطفل ومعالجة ضحاياه** بوصفه أكثر تعاريف الإساءة الجنسية للطفل شمولية وهو "كل استغلال أو استخدام أو إقناع أو إغراء أو استمالة أو إكراه لأى طفل على المشاركة أو مساعدة أى شخص آخر على المشاركة فى أى سلوك جنسى صريح أو التظاهر بسلوك من هذا النوع لهدف تصويره؛ والاغتصاب أو التحرش أو البغاء أو أى شكل آخر من أشكال الاستغلال الجنسى للطفل أو ممارسة سفاح القربى مع الأطفال"(١٦). ومن التعريف السابق يمكننا القول أن الإساءة الجنسية هى نوع من الاعتداء الجنسى يحدث فى الطفولة.

ج - التحرش الجنسى Sexual Harassment

يشار فى كثير من الدراسات إلى التحرش الجنسى بوصفه نوع من الاعتداء الجنسى لا يصل إلى حد الاغتصاب. ومع ذلك هناك تباين، قد يكون طفيفًا أحيانًا وكبيرًا فى أحيان أخرى، فى السلوكيات التى توردها كل دراسة بوصفها مظهر من مظاهر التحرش الجنسى. فعلى سبيل المثال يعرف البعض التحرش الجنسى على أنه "فعل أو سلوك يصدر من ذكر ضد أنثى، سواء كان بالنظر، أو اللفظ، أو الاحتكاك الجسدى، ينتج عنه تأثيرات مرتبطة بالجنس لدى الأنثى، والتى لا تقبل هذا الفعل أو السلوك، وقد يترك هذا الفعل أو السلوك أذى نفسى أو مادى لدى الأنثى التى تتعرض له. ومن الملاحظ أن بعض التعريفات قصرت ضحايا التحرش

* يستخدم كثير من الباحثين لفظ الاستغلال الجنسى Sexual Abuse كمرادف للفظ الإساءة الجنسية ويستخدمهما الباحث فى هذه الورقة أيضاً بوصفهما مترادفين أو ترجمتين مختلفتين لمصطلح واحد وهو Sexual Abuse.

** للاطلاع على القانون انظر:
http://www.acf.hhs.gov/sites/default/files/cb/capta2003.pdf

الجنسى على المرأة فى حين من الممكن أن يتعرض الرجل أيًا كان عمره للتحرش الجنسى أيضًا سواء من رجل آخر أو امرأة وإن كان الأكثر شيوعًا هو التحرش الجنسى بالمرأة من الرجل. كما أن بعض التعريفات قد وسعت من مفهوم التحرش الجنسى ليشمل الاغتصاب غير أن الأرجح أن يتم تناول التحرش الجنسى بوصفه سلوك لا يصل إلى حد الاغتصاب بالإضافة إلى أن لفظ (تحرش به) فى اللغة يعنى تعرض له ليهيجه وهى تعنى أيضًا فى أصلها (حرشه) أى أغراه[١٧]. وبالتالى فإننا فى سياق الورقة الحالية نرجح النظر إلى التحرش الجنسى على أنه "محاولة الاتصال الجنسى بامرأة أو رجل دون رغبة منها أو منه ودون أن تصل هذه المحاولة إلى حد الاغتصاب أو محاولة الاغتصاب". وبهذا التعريف يمكن اعتبار التحرش الجنسى أحد أشكال الاعتداء الجنسى الأقل حدة.

تعريف مفهوم الاعتداء الجنسى

المقصود بمفهوم الاعتداء الجنسى "هو أى سلوك يصدره فرد أو جماعة نحو فرد آخر أو جماعة أخرى له مظهر جنسى ويحدث دون رغبة الطرف الآخر أو دون وعى منه (فى حالة القصّر أو فاقدى الوعى) وقد يشمل هذا السلوك كل أو بعض الأنماط التى سترد بالتفصيل فى الفقرة التالية.

أنماط الاعتداء الجنسى

هناك أنماط مختلفة من الاعتداء الجنسى وتختلف هذه الأنماط تبعًا لطريقة الاعتداء وشدته وخصائص الضحية كما يلى:

- الاغتصاب بالقوة Forcible Rape وفيه يستخدم المعتدى القوة أو التهديد بها لاغتصاب الضحية.
- الاغتصاب تحت تأثير مخدر أو كحول Drug Or Alcohol Facilitated Rape وفيه يتم اغتصاب الضحية بدون علمها أو موافقتها وهى تحت تأثير المخدرات أو الكحول.

- الاغتصاب لفاقدى الأهلية Incapacitated Rape وفيه لا تستطيع الضحية الموافقة الواعية على العلاقة الجنسية بسبب تعاطيها للكحول أو المخدر أو حين تكون غائبة عن الوعى أو نائمة.
- اغتصاب ضحايا دون السن القانونى A Statutory Rape وفيه تكون الضحية دون السن القانونى للموافقة على إقامة علاقة جنسية.
- الإكراه الجنسى Sexual Coercion وفيه يجبر المعتدى الضحية على الدخول فى علاقة جنسية، وقد يستلزم الإكراه حيل نفسية أو انفعالية مثل الوعد بمكافأة أو التهديد بعقاب غير بدنى أو الضغط من أجل ممارسة العلاقة الجنسية.
- الاتصال الجنسى غير المرغوب فيه Unwanted Sexual Contact وفيه تتعرض الضحية للمس مناطق حساسة دون رغبتها ولكنه لا ينطوى على استخدام القوة.
- الاتصال الجنسى غير المرغوب مع استخدام القوة Unwanted Sexual Contact with force وفيه يستخدم المعتدى القوة أو التهديد بها للمس الضحية فى أماكن حساسة.
- الاتصال الجنسى بالإكراه Coerced Sexual Contact وفيه يستخدم المعتدى القوة البدنية أو الأدبية للاتصال الجنسى بالضحية دون رغبة منها.
- الإساءة الجنسية البصرية Sexual Visual Abuse وفيه يستخدم المعتدى الوسائل البصرية وقد يتضمن ذلك عرض مواد إباحية على الضحية أو أعضاء جنسية أو الحديث بطريقة إباحية أو فيديو للضحية وهى تمارس الجنس.
- الإساءة الجنسية اللفظية Sexual Verbal Abuse وفيه يتحدث المعتدى أو يصدر أصواتًا مهينة أو مسيئة أو جنسية.

ثانيًا: مفهوم ضحية الاعتداء الجنسى

المقصود "بضحية الاعتداء الجنسى" كل شخص (ذكر كان أو انثى، طفل أو راشد) تعرض لاعتداء جنسى (كما ورد تعريفه فى الفقرات السابقة). ومن ثم المقصود هنا هو المجنى عليه الذى وقعت عليه جريمة الاعتداء الجنسى وليس ضحية الاعتداء الجنسى بالمعنى الواسع. فمثلاً المرأة التى تعرضت للاغتصاب هى المقصودة بالدراسة فى هذه الورقة بينما أولادها الذين قد تأثروا بهذا الاغتصاب ويعتبروا ضحايا للاعتداء الجنسى (بالمعنى الواسع للضحية) ليسوا مقصودين بالدراسة فى هذه الورقة.

المحور الأول : **النظريات المفسرة للاعتداء الجنسى**

فى إطار هدف الورقة وهو استجلاء دور ضحية الاعتداء الجنسى فى حدوث الاعتداء عليها سنعرض للنظريات المفسرة للاعتداء الجنسى من خلال الضحية وليس المعتدى، أى النظريات التى تناولت جانب ضحية الاعتداء الجنسى كمفسر لهذا الاعتداء.

فبالنسبة للنظريات التى وضعها المنظرون **فى علم ضحايا الجريمة** Victimology والتى تفسر وقوع أفراد دون غيرهم ضحية للجريمة، فمنها **نظرية الأنشطة الروتينية** Routine Activity Theory التى وضعها كوهين Cohen وفيلسون Felson (١٩٧٩) وتشير إلى أن أنشطة الفرد اليومية الروتينية قد تجعله مستهدفًا للوقوع ضحية الجريمة أو بمعنى آخر تجعله هدفًا محتملاً للمجرم(١٨). فمثلاً، المنازل التى يتركها أصحابها بشكل منتظم لفترات طويلة قد تتعرض أكثر من غيرها للسرقة. وفى سياق الاعتداء الجنسى الرجوع إلى المنزل أو الخروج بشكل منتظم فى وقت متأخر من الليل قد يعرض الفرد – لا سيما إذا كانت امرأة– لأن تكون هدفًا للاعتداء الجنسى. وتناقش "دايجل" عددًا من العوامل فى نظرية الأنشطة الروتينية تيسر حدوث الاعتداء الجنسى ومنها غياب الحماية Guardianship وأن تكون مواعدة المجرمين ومتعاطى المواد النفسية واحدة من الأنشطة الروتينية للضحية(١٩).

ويطرح فرانكلين Franklin وزملاؤه– فى دراسته عن عوامل الخطورة فى التحرش الجنسى بالمرأة– **النظرية النسوية** Feminist Theory كتفسير لتعرض المرأة للتحرش الجنسى أكثر من الرجل. وتفترض هذه النظرية أن القوة التى يملكها الرجل فى المجتمعات الأبوية تمنحه سيطرة على المرأة وتجعل النساء عرضة للوقوع ضحية اعتداءه أكثر. وينتقد فرانكلين وزملاؤه هذه النظرية كونها لا تضع فى الاعتبار العوامل الموقفية والفروق الفردية التى قد تكون أكثر فعالية فى تفسير حدوث الاعتداء الجنسى(٢٠). كما أن النظرية النسوية قد تصلح جزئيًا لتفسير حدوث الاعتداء الجنسى على النساء فى حين أنها لا تناسب حدوث الاعتداء الجنسى على الرجال من فئات عمرية مختلفة، كما أنها قد لا تتلائم مع حدوث الاعتداء الجنسى على النساء فى المجتمعات التى نالت المرأة فيها قسطًا غير قليل من المساواة بالرجل.

ومن النظريات التى تُطرح أيضًا فى تفسير الوقوع ضحية الاعتداء الجنسى **النظرية العامة للجريمة** General Theory of Crime **أو نظرية التحكم الذاتى** Self-Control Theory ويفترض واضعا النظرية جوتفريدسون Gottfredson وهيرشى Hirschi فى كتابهما الموسوم "النظرية العامة فى الجريمة The General Theory of Crime" أن الوقوع فى الجريمة يحدث بسبب عامل واحد وهو نقص قدرة الفرد على التحكم فى ذاته، ويفترض الباحثان أن القدرة على التحكم الذاتى موروثة ولكن يمكن تنميتها وتطويرها من خلال التنشئة الوالدية لا سيما فى الطفولة المبكرة (حوالى سن ٨ سنوات)(٢١). وقد استخدم شريك Schreck نظرية التحكم الذاتى فى تفسير الوقوع ضحية الاعتداء الجنسى حيث افترض أن ضعف التحكم الذاتى لدى الفرد يدفعه إلى وضع نفسه فى سياقات خطرة مما يعرضه ليكون ضحية الاعتداء(٢٢).

المحور الثانى: المتغيرات التى تسهم فى حدوث الاعتداء الجنسى أو الحماية منه

هناك عدد من المتغيرات التى تسهم بشكل أو بآخر فى حدوث الاعتداء الجنسى أو تكرار حدوثه وتسمى هذه المتغيرات عوامل خطورة Risk Factors، كما أن هناك متغيرات تسهم فى حماية الفرد من الاعتداء الجنسى أو تكرار الاعتداء الجنسى عليه، ويطلق على هذه المتغيرات عوامل حماية Protective Factors. وليس بالضرورة أن تتمايز عوامل الخطورة وعوامل الحماية نوعيًا فقد تمثل الدرجة المنخفضة من التوكيدية عامل خطورة فى حين تمثل الدرجة المرتفعة عامل حماية. كما تُصنف عوامل الخطورة وعوامل الحماية تبعًا لمجالها؛ فبعض هذه العوامل يتعلق ببيئة الاعتداء الجنسى أى بالسياق البيئى الفيزيقى لحدوث الاعتداء، وبعضها يتعلق بالمجتمع الذى يحدث فيه الاعتداء وما يتسم به من خصائص ثقافية واجتماعية. وهناك عوامل تتعلق بالمعتدى جنسيًا Sexual Victimizers مثل خصائصه الشخصية وسماته ...إلخ ، كما أن هناك عوامل تتعلق بضحية الاعتداء الجنسى من سمات وسلوكيات قد تسهم فى حدوث الاعتداء. والوقوف على كل هذه المتغيرات يفيدنا فى فهم عملية الاعتداء الجنسى كما يساعد على استجلاء دور الضحية فى هذا الاعتداء. وسنتناول فى فقرات تالية المتغيرات المختلفة الخاصة بكل مجال وما قد تمثله كعامل خطورة أو عامل حماية أو كعامل خطورة وحماية فى ذات الوقت تبعًا لدرجة المتغير.

متغيرات السياق البيئى

تمثل البيئة الفيزيقية عامل خطورة عندما تيسر حدوث الاعتداء الجنسى، فمن المتوقع أن تكون الأماكن المظلمة والتى تخلو من المارة أكثر مناسبة من غيرها لحدوث الاعتداء الجنسى. كما أن الأماكن الأقل فى الكثافة السكانية والبعيدة عن لجان الحماية الشرطية هى أيضًا أماكن مستهدفة أكثر من مثيلاتها لحدوث الاعتداء الجنسى؛ ففى دراسة لإميك Amick وكالهون Calhoun حول العوامل الشخصية والموقفية لمقاومة العدوان الجنسى تبين أن عزلة مكان الاعتداء الجنسى من أهم العوامل التى تقلل مقاومة ضحية الاعتداء[٢٣].

ولا يقتصر هذا الدور البيئى الفيزيقى للمكان فى حدوث الاعتداء الجنسى على خصائص المكان فقط بل يشمل طبيعة المكان ونوعه؛ فأماكن اللهو والاستمتاع (الحدائق والمسارح والسينمات) أكثر عرضة لحدوث الاعتداء الجنسى فيها عن أماكن التعليم (المدارس)أو العبادة (المساجد والكنائس)، بل وتختلف نوعية أماكن اللهو تبعًا للخدمة التى تقدمها فالبارات والنوادى أو الملاهى الليلية – والتى عادة ما تعمل فى وقت متأخر من الليل وحتى الساعات المبكرة من الصباح– أكثر عرضة لحدوث الاعتداء الجنسى فيها من الحدائق والمنتزهات العامة والتى عادة ما تفتح للجمهور العام نهارًا وحتى الساعات الأولى من الليل.

ولا شك أن الثقافة التى توجد بهذه الأماكن تضفى أهمية كبيرة لاحتمالية حدوث الاعتداء الجنسى فيها؛ فمن المتوقع أن يقع اللوم الأكبر على الضحية إذا كان مكان الاعتداء الجنسى يقدم خدمة مستهجنة من قبل هذه الثقافة (ملهى ليلى مثلاً) فى حين يتعرض المعتدى للوم أكثر إذا تم الاعتداء فى دار من دور العبادة (مسجد مثلاً) وذلك بغض النظر عن طبيعة الاعتداء الجنسى نفسه أو أى تفاصيل مرتبطة به.

ولا يقتصر هذا الدور البيئى الفيزيفى على المكان فقط بل يختلف أيضًا تبعًا لزمن وقوع الاعتداء الجنسى فالخروج ليلاً أكثر خطورة بالنسبة للتعرض للاعتداء الجنسى من الخروج نهارًا وبالطبع تختلف ساعات الليل والنهار من حيث درجة الخطورة أو الأمان، فالأوقات المتأخرة من الليل وشديدة التبكير من النهار أكثر من غيرها فى زيادة مخاطر التعرض للاعتداء الجنسى. وفى دراسة أجريت حول اتجاهات الفتيان المصريين نحو التحرش الجنسى بالمرأة حدد معظم أفراد العينة*

* لم يحدد الباحثون فى هذا البحث ما المقصود بمعظم أفراد العينة التى بلغت فى هذا البحث ٣٠ شاب تراوح أعمارهم من ١٤ إلى ١٨ سنة .

الساعة الحادية عشرة مساء بوصفها الحد الأقصى لخروج السيدة من منزلها دون مخاطرة التعرض للتحرش الجنسى فى مصر[٢٤].

ومع ذلك، فإن نوع الاعتداء الجنسى يشكل عامل معدل لدور البيئة الفيزيقية والكثافة السكانية؛ فقد تشكل المساحات الخالية من السكان والأماكن الأقل كثافة بيئة مثالية للاغتصاب أو محاولات الاغتصاب فى حين يمثل الازدحام والكثافة السكانية المرتفعة بيئة أكثر مناسبة لأنواع أقل حدة من الاعتداء الجنسى كالتحرش، وقد يكون هذا النوع الأخير من الاعتداء سلوك شائع لا يرتبط بمكان أو زمان معين. ففى دراسة أجريت على ١٠١٠سيدة مصرية و١٢٠ سيدة أجنبية و ١٠١٠ رجل مصرى، أشارت ٦٠.٥٪ من السيدات المصريات و٦٨.٢ من السيدات الأجانب أنهن تعرضن للتحرش الجنسى فى كل الأوقات دون تمييز لوقت معين دون الآخر[٢٥].

ويفيد تحديد الدور البيئى الفيزيقى كعامل خطورة فى حدوث الاعتداء الجنسى فى أن جزء كبير من محتوى اللوم الواقع على ضحية الاعتداء الجنسى هو اختيار أماكن للسير غير مأهولة أو تتسم بكثافة سكانية منخفضة لدرجة كبيرة وذلك دون حماية مناسبة. وقد يتداخل الدور الذى تلعبه البيئة الفيزيقية مع متغيرات أخرى لتسهيل حدوث الاعتداء الجنسى؛ فربما يساعد وجود مكان وزمان مناسبين للاعتداء الجنسى فى زيادة نسبة الاعتداء الجنسى من قبل أقارب للضحية وذلك بالإضافة إلى المتغيرات الأخرى والذى سيرد التفصيل لها فى السياق الخاص بها .

المتغيرات الاجتماعية

تمثل علاقة الفرد بالآخرين المحيطين به حجر زاوية فى مدى تعرضه للمخاطر أو مدى حمايته منها، حيث مثل المعارف والأقارب والأصدقاء النسبة الأعلى من المعتدين فى كثير من الدراسات التى تناولت الاعتداء الجنسى. ويبدو أن هناك عوامل كثيرة تتيح للمعتدى القريب من الضحية أو تشجعه على الاعتداء الجنسى مثل التواجد مع الضحية كثير من الوقت فى نفس المكان، أو وجود سلطة أدبية تربط بين المعتدى وضحيته، أو عوامل أخرى تتعلق بدرجة القرابة أو الصداقة. وفى دراسة لإميك وكالهون حول العوامل الشخصية والموقفية لمقاومة العدوان الجنسى تبين أن درجة الحميمية بين الضحية والمعتدى تقلل من مقاومة الضحية للاعتداء

الجنسى[٢٦]. ومن المتغيرات الاجتماعية التى تمثل عامل حماية لضحية الاعتداء الجنسى هى وجود شبكة من العلاقات الاجتماعية الجيدة؛ ففى دراسة لكولينز Collins حول العوامل التى تؤثر فى الاعتداء الجنسى وتكرار هذا الاعتداء بين عينة قوامها ٣١٥ من الأمهات المراهقات تبين أن الأمهات الأكثر رضا عن وجود شبكة اجتماعية مساندة كن أقل فى تكرار حدوث الاعتداء الجنسى من مثيلاتهن[٢٧].

متغيرات السياق الثقافى المجتمعى

تلعب متغيرات السياق الثقافى المجتمعى دورًا جوهريًا فى حدوث الاعتداء الجنسى. حيث يمثل اتجاه المجتمع نحو الاعتداء الجنسى دور الميسر أو المعوق له ويمكن تصنيف هذا الدور إلى جانبين كالأتى:

تشجيع المجتمع للذكر فى السيطرة

فى دراسة أجريت حول مفهوم وتحليل ظاهرة العنف الجنسى الواقعة على الفتيات الفلسطينيات ما يشير بشكل واضح إلى هذا الدور المجتمعى الذى يميز بين الذكور والإناث وكيفية تأثير هذا التمييز على حدوث وتكرار حدوث الاعتداء الجنسى؛ والفقرة التالية نص أحد أهم نتائج البحث الذى أجرى من خلال عمل ٢٥ مقابلة متعمقة مع مسئولين عن حالات عنف جنسى.

" يعتبر المجتمع الفلسطينى مجتمعًا محافظًا ذكوريًا، مبنيًا على تربية الرجل على أنه المسيطر وله شرعية التصرف حسب احتياجاته وأهوائه ورؤية دونية للمرأة ...المجتمع الفلسطينى غير متسامح مع الضحايا وغالبًا ما ينظر للضحية كمنحلة أخلاقيًا ويحّملها مسئولية حدوث الاعتداء، ويواجه صعوبة استيعابها وتقبلها ولذلك يلجأ عادة إلى اتهامها بكسر الحواجز الاجتماعية"[٢٨].

وفى دراسة حول الأبعاد الاجتماعية للتحرش الجنسى فى الحياة اليومية أشار الباحث إلى أن هناك عوامل فى البيئة الاجتماعية تزيد من التحرش الجنسى وهى تصوير المرأة أو عرضها كأداة للجنس وتدعيم الاتجاهات التى تقلل من أهميتها

وإبراز الاتجاهات التى تعبر عن ضعفها وعدم قدرتها على الحفاظ على نفسها أو مواجهة من يقابلها بسلوك مرفوض بالنسبة لها[٢٩].

إنكار المجتمع للمشكلة نظرًا لكونها تمس جوانب حساسة

فيما يتعلق بنظرة المجتمع أيضًا فقد أشار تقرير أعده كل من مركز النديم لتأهيل ضحايا العنف ومؤسسة المرأة الجديدة حول الاعتداءات الجنسية والاغتصاب فى ميدان التحرير ومحيطه، والواقعة بين عامى ٢٠١١ إلى ٢٠١٣ إلى أن كثير من ضحايا الاعتداء الجنسى اللاتى حكين خبرة الاعتداء اتسمت استجابات المحيطين بهن من غير المعتدين فى كثير من الأحيان بالسلبية وربما بإلقاء اللوم عليهن ولم يتلقين المساعدة سوى من أصدقائهن أو معارفهن أو قليل من الأغراب[٣٠].

المتغيرات الخاصة بالمعتدى جنسيًا

هناك عدد من المتغيرات النفسية تتعلق بالمعتدى جنسيًا يمكن أن تسهم بشكل أو بآخر فى حدوث الاعتداء الجنسى ويمكن فى هذا السياق تقسيم هذه المتغيرات إلى أربع فئات؛ الفئة الأولى تشمل المتغيرات الديمجرافية للمعتدى جنسيًا كالعمر والنوع، وتشمل الفئة الثانية المتغيرات المعرفية كالاتجاهات والمعتقدات، أما الفئة الثالثة فتشمل المتغيرات الوجدانية، وتشمل الفئة الرابعة الاضطرابات النفسية التى قد يعانى منها المعتدى جنسيًا. وبالنسبة **للمتغيرات الديمجرافية** للمعتدى جنسيًا؛ فمن حيث **النوع** هناك فروق بين الذكور والإناث فى إدراكهم للاعتداء الجنسى والتسامح معه. ففى دراسة لرايلى وآخرين على عينة قوامها ٩٢٠ من الطلاب الأمريكيين (٥٣٤ طالبة و٣٨٦ طالب) يبلغ متوسط أعمارهم ١٩,٩ و ٢٠,٧ سنة للطالبات والطلاب على التوالى، تبين أن الطلاب مقارنة بالطالبات أكثر تسامحًا مع سلوكيات الاعتداء الجنسى وأكثر اعتقادًا أن العلاقة الجنسية بين الذكور والإناث علاقة عدائية، وأكثر ميلاً للقول أنهم فى ظروف معينة ربما يجبرون شخص ما على إقامة علاقة جنسية معهم [٣١].

وتلعب **المتغيرات المعرفية** للمعتدى جنسيًا دورًا جوهريًا فى سلوك الاعتداء. حيث يميل المتسامحون نحو الاعتداء الجنسى إلى اقتراف سلوكيات الاعتداء

الجنسى، فقد أظهرت الدراسة السابق ذكرها لرايلى وآخرين أن الذكور الأكثر تسامحًا مع الاعتداء الجنسى والأكثر اعتقادًا فى عدائية العلاقة بين الجنسين قد أقروا بخبرات اعتداء جنسى على إناث أكثر من غيرهم من الذكور فى نفس عينة الدراسة[٣٢]. كما أن تبنى أفكار غير واقعية حول الاغتصاب كان أحد عوامل الخطورة التى أشارت إليها دراسة موهلينهارد Muehlenhard ولينتون Linton [٣٣].

وتشير بعض الدراسات إلى أن معظم حالات الاغتصاب تمت بواسطة شخص على **معرفة أو صلة** بالضحية، وفى هذا الصدد تشير بعض الدراسات إلى أن المعرفة السابقة للضحية بالمعتدى تزيد من قدرتها على مقاومة الاعتداء الجنسى[٣٤]، ولم تكن هناك فروق بين النساء الضحايا من أصل أفريقى والنساء القوقازيين [٣٥].

المتغيرات الخاصة بضحية الاعتداء الجنسى

هناك عدد من المتغيرات التى تخص ضحية الاعتداء الجنسى والتى تسهم بشكل أو بآخر فى حدوث الاعتداء الجنسى أو عرقلة حدوثه؛ من أهم هذه المتغيرات **نوع** الضحية؛ حيث يشكل النساء الغالبية العظمى من ضحايا الاعتداء الجنسى. كما أن المراهقين والشباب هم أكثر عرضة للاعتداء الجنسى من الراشدين.

كما يعد الأصل العرقى للضحية Ethnicity من المتغيرات التى تشكل عامل خطورة[٣٦]. كما أن وجود تاريخ من الإساءة الجنسية لدى الضحية يقلل من مقاومتها للاعتداء الجنسى[٣٧]. أما فيما يتعلق **بالمتغيرات المعرفية** لضحية الاعتداء الجنسى؛ فبخلاف ما يحدث مع المعتدى جنسيًا ، لم تتنبأ معتقدات واتجاهات ضحايا الاعتداء الجنسى فى عينة دراسة رايلى وزملاؤه بوقوعهن ضحايا للاعتداء الجنسى حيث لم تكن هناك علاقة دالة بين كلا المتغيرين فى الدراسة[٣٨]. وقد تزيد هذه النتيجة من أهمية متغيرات أخرى كالمتغيرات الموقفية والاجتماعية فى التنبؤ بوقوع الضحية فى براثن الاعتداء الجنسى.

بناءً على عوامل الخطورة والحماية التى عرضناها فى هذا المحور إذا أردنا تصور **حالة مثالية لشخص هو الأكثر احتمالية لوقوعه ضحية اعتداء جنسى** سيكون هذا الشخص: فتاة فى مرحلة المراهقة أو الرشد المبكر من مستوى اجتماعى متوسط أو تحت المتوسط، لا يوجد حولها شبكة اجتماعية مساندة (أصدقاء أو أقارب)، وجدت فى ملهى ليلى، فى ثقافة محافظة (كمصر)، فى وقت متأخر من الليل أو وقت مبكر جدًا من النهار، وتتعاطى المخدرات كما أنها تعرضت من فترة وجيزة للاعتداء الجنسى ولا تملك المهارات اللازمة للدفاع عن نفسها ولم تنضم لبرنامج تدريبى أو تأهيلى عن الاعتداء الجنسى كما أنها تعانى الشعور بالعجز وقلة الحيلة. أما إذا أردنا **تصور حالة مثالية لمعتدى جنسيًا** بناءً على عوامل الخطورة وعوامل الحماية فهو رجل فى مرحلة الرشد المبكر يتعاطى المخدرات، لديه أفكار غير واقعية عن الاغتصاب (إيجابية)، كما أنه يميل إلى تبنى الدور الذكرى فى مجتمع يميز بين الذكور والإناث لصالح الذكور، مارس الاعتداء الجنسى منذ فترة وجيزة ولم يتعرض للعقاب أو التأهيل.

المحور الثالث : الاستجابة للاعتداء الجنسى

أولا: الآليات المجتمعية لمواجهة الاعتداء الجنسى على المستويين الرسمى وغير الرسمى

تتبنى كثير من المجتمعات- **على المستوى الرسمى**- آليات لمواجهة الاعتداء الجنسى سواء بهدف الوقاية منه وحماية أفرادها من التعرض له أو على مستوى تأهيل وعلاج ضحاياه: فيما يتعلق بآليات الوقاية فإن القوانين التى وضعتها الدول لردع مرتكبى جريمة الاعتداء الجنسى بمختلف أشكالها تتسم بالشدة وقد تصل فى بعض الدول فى بعض الحالات إلى حد إعدام الجانى[٣٩]. أما على المستوى **المجتمعى غير الرسمى** فهناك كثير من مؤسسات المجتمع المدنى التى تهتم بقضية الاعتداء الجنسى وحماية ضحايا الاعتداء الجنسى- لاسيما الإناث لأنهن أكثر عرضة للاعتداء الجنسى- من الاعتداء أو مساعدتهن على مواجهة المشكلة بعد الاعتداء سواء بالتوجه نحو العلاج أو التأهيل. وبالطبع يختلف الدور المجتمعى سواء

الرسمى أو غير الرسمى تبعًا لمدى تقدم الدولة ومدى اهتمامها بحقوق الإنسان أو على الأقل بحقوق مواطنيها؛ فمثلاً فى دولة مثل الولايات المتحدة الأمريكية يوجد داخل نظام العدالة الجنائية متخصص (يطلق عليه محامى Counselor)* يتم تعيينه بهدف مساعدة ضحية الاعتداء الجنسى فى جميع مراحل التحقيق الخاصة بالجريمة بدءً من تعريفها بالإجراءات وحتى إرشادها إلى أماكن الإرشاد والتأهيل **.

ويمكن تقسيم برامج مواجهة الاعتداء الجنسى إلى برامج وقاية وبرامج علاج وتأهيل حيث يستفيد من النوع الأول (برامج الوقاية) الأفراد الأكثر عرضة للوقوع فى براثن الاعتداء الجنسى ، أما النوع الثانى من البرامج فهو برامج العلاج والتأهيل ويمكن توجيهها أيضًا لضحايا الاعتداء الجنسى بهدف العلاج والتأهيل والوقاية من الوقوع مرة أخرى ضحية الاعتداء الجنسىSexual Revictimization، كما يمكن توجيه هذا النوع من البرامج أيضًا لتأهيل المعتدين جنسيا وإعادة دمجهم فى المجتمع والوقاية من عودتهم مرة أخرى للاعتداء الجنسى Sexual Reoffender، وسنعرض فى الفقرات التالية بشىء من التفصيل لكل نوع من أنواع البرامج وما إذا كان لضحية الاعتداء الجنسى دور فى سياقه.

* اللفظ الشائع للمحامى فى الولايات المتحدة الأمريكية هو Counselor وليس Attorney.

** حضر الباحث أثناء فترة تواجده بالولايات المتحدة عام (٢٠١٣) ورش عمل لشرح وتوضيح دور مساعد ضحية الاعتداء الجنسى.

فيما يخص **البرامج التى توضع للوقاية من الاعتداء الجنسى** يشير (بيتر ودونهو) إلى أن الخبراء فى مجال الاعتداء الجنسى قد اقترحو كل ما يمكن من التدريبات للنساء كى يمكنهن مواجهة الاعتداء الجنسى بدءً من تدريبات الدفاع الذاتى Self-Defense Training وحتى التقيؤ والتغوط على الذات لتبدو الضحية غير جذابة جنسيًا للمعتدى. غير أن مثل هذه التدريبات الأخيرة– على حد قول الباحثين– تعد مبالغة فى تقييد الضحية كما أنها تتعارض مع حقوق النساء الأساسية

(Yeater & O'Donohue, 1999). ويبدو– من وجهة نظر الباحث– أن دور الأفراد الأكثر عرضة للاعتداءات الجنسية نظرًا لكونهم يتعرضون لعوامل خطورة أكثر من غيرهم هو دور مكمل للبرامج والاستراتيجيات التى تخصص لمثل هؤلاء الأفراد. فوعيهم بقيمة هذه البرامج وانضمامهم لها والتزامهم بها قد يجنبهم الوقوع ضحايا كما قد يسهم بشكل كبير فى تطوير هذه البرامج.

أما ما يخص **برامج التأهيل النفسى** لضحايا الاعتداء الجنسى، فإن عديد من الدراسات يشير إلى فعالية هذه البرامج فى خفض كثير من الاستجابات السلبية والمشكلات اللاحقة للاعتداء الجنسى؛ ففى دراسة (لريسك) وآخرين حول فعالية العلاج السلوكى الجمعى على مجموعة من ضحايا الاعتداء الجنسى (٣٠ ضحية) وجدت فروق دالة لصالح المجموعات التى تعرضت للعلاج مقابل مجموعة قائمة الانتظار (١٣ مفردة) وذلك على مقياس التعبير عن الذات والخوف ومفهوم الذات[٤٠].

وحول أهم العوامل التى قد تدفع ضحايا الاعتداء الجنسى إلى التسجيل فى برامج تأهيلية عقب الاعتداء تبين دراسة بريكلين Brecklin وأولمان Ullman والتى أجريت على بيانات ١٦٢٣سيدة من الناجيات من حوادث اعتداء جنسى، تبين أن السيدات اللاتى كن أكثر ميلاً للاشتراك فى برامج التأهيل قد تعرضن لاعتداء أكثر حدة من مثيلاتهن اللاتى لم يشتركن، كما عانين من أفكار انتحارية أكثر من غير المشتركات[٤١]. أى أن حدة الاعتداء قد تسهم مع عواقب سلبية كالتفكير فى الانتحار فى دفع ضحية الاعتداء الجنسى للبحث عن برامج للتأهيل حتى يمكنهم أو يمكنهن تجنب الاعتداء الجنسى فى المستقبل. وبالتالى فهناك بعض العوامل التى تدفع ضحية الاعتداء الجنسى للانضمام لبرامج التأهيل ومن المهم أن ينتبه القائمون على برامج التأهيل والعلاج لضحايا الاعتداء الجنسى إلى هذه العوامل لجذب مزيد من المستفيدين من الخدمة.

ثانياً: استجابة الضحية للاعتداء الجنسى

نتناول فى سياق استجابة الضحية للاعتداء الجنسى جانبين مختلفين؛ يتعلق الأول بدور ضحية الاعتداء الجنسى فى حدوث هذا الاعتداء أما الجانب الآخر فهو خاص باستجابة الضحية أثناء أو بعد الاعتداء الجنسى.

بالنسبة **لدور الضحية فى حدوث الاعتداء الجنسى** تعرض (دايجل) لمراحل تناول الدراسات المختلفة لهذا الدور منذ وقت مبكر نسبيًا ؛ فقد ميزت البحوث فى منتصف التسعينيات بين ثلاثة مفاهيم تبعًا لدور الضحية فى حدوث الجريمة (والتى تشمل بالطبع الاعتداء الجنسى): الأول هو إسهام الضحية* Victim Precipitation والمقصود به المدى التى تسهم به الضحية فى حدوث الاعتداء والذى يتراوح من عدم مسئولية الضحية إطلاقًا عن الجريمة إلى أقصى مسئولية يمكن أن تتحملها الضحية فى حدوث الاعتداء عليها. والمفهوم الثانى هو تيسير الضحية للجريمة Victim Facilitation وهو يعنى تصرف الضحية بشكل ييسر حدوث الجريمة؛ مثل أن تعود ضحية الاعتداء الجنسى من العمل فى وقت متأخر من الليل وتسير فى منطقة غير مأهولة بالسكان. أما المفهوم الثالث فهو استفزاز الضحية Victim Provocation وهو يحدث حين تتصرف الضحية بشكل يحفزّ أو يستفزّ الطرف

* وضع الباحث المعنى الذى أوردته دايجل للمصطلح الانجليزى Victim Precipitation وليس الترجمة الحرفية للكلمة.

الآخر للقيام بالسلوك الإجرامى، كأن تقوم ضحية الاعتداء الجنسى بحركات مغرية تستثير المعتدى جنسيًا. وقد عرض هانز فون هنتيج Hans von Hentig لثلاثة عشرة فئة من الأفراد يتعرضون أكثر من غيرهم للاعتداء أو الوقوع ضحية للجريمة بشكل عام، ومن هذه الفئات: الشباب صغار السن والنساء وكبار السن والمهاجرين والمكتئبين. وصنف بنيامين ميندلسون Benjamin Mendelsohn ضحايا الجريمة إلى ست فئات تبدأ بفئة الضحية البرئية تمامًا وتنتهى بالضحية التى تثير الجريمة.

أما ستيفن شيفر Stephen Schafer فقد صنف ضحايا الجريمة تبعًا لمجالات معينة وحدد مدى مسئولية كل فئة كالتالى :

- ضحايا ليس لهم علاقة بالجريمة – لا توجد مسئولية.
- ضحايا يستفزون على الجريمة – مشاركين فى المسئولية.
- ضحايا يسهمون فى الجريمة – درجة من المسئولية.
- ضحايا ضعيفى البنية الجسمانية – غير مسئولين.
- ضحايا ضعاف اجتماعيًا – غير مسئولين.
- ضحايا الاعتداء على الذات – مسئولية كاملة.
- ضحايا السياسة – غير مسئولين.

وقد وجد مارفن ولفجانج Marvin Walfgang فى دراساته الإمبيريقية عن ضحايا جرائم القتل أن كثير من حالات القتل كانت المسئولية مشتركة بين القاتل والمقتول وأن الضحايا كانوا يضعون أنفسهم فى مواقف خطورة التعرض. أما الدراسات الامبيريقية فيما يتعلق بدور الضحية فى مجال الاعتداء الجنسى فقد أجرى مناحم أمير Menachem Amir دراسة حول جرائم الاغتصاب التى تمت فى فيلادلفيا بأمريكا ما بين عام ١٩٥٨ وحتى عام ١٩٦٠ وقد وجد أن حالة من كل خمس حالات اغتصاب قد ساهمت فى حدوث هذا الاغتصاب وقد اتسمت ضحايا الاغتصاب (كن سيدات فى الدراسة التى أجراها أمير) بعدد من الخصائص أهمها: أنهن أكثر احتمالاً لتعاطى الكحول والانغماس فى سلوكيات إغرائية من الناحية الجنسية مثل ارتداء ملابس شفافة، كما اتسمت كثير منهن بسمعة سيئة . وقد واجه أمير سيل من اللوم والانتقاد عند طرح نتائج دراساته كونها تضع اللوم على الضحية لا سيما والضحايا من النساء[٤٢].

أما بالنسبة **لاستجابة الضحية للاعتداء الجنسى** فبالطبع تختلف استجابة كل ضحية من حيث قوة الاستجابة أو نوعيتها أو تنوعها وذلك تبعًا لكثير من العوامل التى لا يمكن حصرها فى هذا السياق ومنها شخصية الضحية وسياق الاعتداء

والثقافة التى حدث فيها الاعتداء. ومع ذلك هناك عدد من الاستجابات التى سُجلت لحالات تعرضت للاعتداءالجنسى والتى يمكن توقعها فى حالة حدوث هذا الاعتداء. ويمكن تقسيم استجابة الضحية للاعتداء الجنسى إلى نوعين من الاستجابات: النوع الأول يمكن أن نطلق عليه **استجابة غير توافقية** وهى استجابة تقوم بها الضحية نتيجة تعرضها للاعتداء الجنسى ولكنها تؤثر سلبًا عليها وقد تؤدى فيما بعد إلى تكرار حدوث الاعتداء. أما النوع الآخر من الاستجابة فيمكن أن نسميه **الاستجابة التوافقية** والتى تساعد الضحية على تخطى الصدمة كما أنها تسهم فى تجنبها أو حمايتها من تكرار الاعتداء عليها.

بالنسبة للنوع الأول من الاستجابة فعلى **المستوى البدنى** تعانى ضحية الاعتداء الجنسى عادة من آلام فى الرأس والظهر والمعدة وعرق غزير وخفقان شديد فى القلب واضطراب فى النوم والشهية والاهتمام بالجنس، كما تعانى الضحية من الإمساك أو الإسهال والانزعاج الشديد من الضوضاء أو اللمس المفاجئ والحساسية الزائدة من البرد أو الأمراض وزيادة استخدام الكحول والمخدرات الأخرى وربما النهم للطعام. أما بالنسبة **للاستجابات الانفعالية:** تعانى ضحية الاعتداء الجنسى من الصدمة وعدم التصديق والخوف والقلق وكذلك الأسى والإنكار، كما تعانى أيضًا من اليقظة المبالغ فيها والتوتر والضجر وانعدام التوازن والغضب المستمر أو الغيظ والتأرجح بين المزاج الانفعالى (كالبكاء ثم الضحك فجأة) والقلق واجترار الأفكار السيئة والصدمة والكوابيس أثناء النوم والشعور بالعجز والهلع وفقدان السيطرة ولوم الذات والشعور بالخزى. ومن الناحية **المعرفية** تسترجع ضحية الاعتداء الجنسى عادة الذكريات الحياتية المؤلمة كما تفقد الشعور بالعدالة وتتوقع الدمار وتعانى الخوف من المستقبل. و**سلوكيًا** تحاول ضحية الاعتداء الجنسى عادة تجنب أى شيء متعلق بصدمة الاعتداء الجنسى والميل إلى العزلة والشعور بالانفصال عن الآخرين وصعوبة الثقة فيهم وكذلك انخفاض الاهتمام بالأنشطة الحياتية اليومية[٤٣].

والوقوف على استجابات ضحية الاعتداء الجنسى قد يفيد فى مرحلة وقاية الضحية من الوقوع مرة أخرى فى براثن الاعتداء الجنسى، فقد نتنبأ مثلاً من مسألة شعور الضحية بالعجز وقلة الحيلة وتوقع الأسوأ بأن ضحية الاعتداء الجنسى قد لا تأتى بسلوك تدافع به عن نفسها بسبب هذا الشعور. كما قد يفسر ذلك تكرار حدوث الاعتداء الجنسى بعكس ما هو متوقع، حيث من المتوقع أن يزداد حرص الضحية على تجنب ما قد يترتب عليه حدوث اعتداء جنسى.

وفى إطار **الاستجابة التوافقية** يُعد دفاع الضحية الذاتى عن نفسها Self-defense من أهم الخطوات أو الاستجابات التوافقية التى يمكن أن تقلل من استمرار الاعتداء أو تمنع حدوثه، غير أن هذا الدفاع مرتبط بالسياق وبالأسلوب الذى تنتهجه الضحية وهو بالتالى يعتمد على وعى الضحية بالموقف ومتغيراته ويأتى فى هذا الإطار الدور الذى يلعبه انضمام الأفراد الأكثر عرضة للاعتداء الجنسى لبرامج الوقاية التى تزيد من وعيهم وتدربهم على التصرف بشكل ملائم يقيهم من الاعتداء أو الاستمرار فيه وفى هذا الصدد تشير عديد من الدراسات إلى دور التدريب على توكيد الذات والدفاع الذاتى فى زيادة قدرة ضحايا الاعتداء الجنسى على مقاومة الاعتداء[٤٤].

وفى دراسة أجرتها مديحة عبادة وخالد أبو دوح تبين أن أهم الاستراتيجيات التى اتبعتها السيدات فى عينة الدراسة عند تعرضهن للتحرش الجنسى هى الهروب من مكان حدوث الاعتداء[٤٥]. وفى سياق الاستجابة بعد حدوث الاعتداء، يعد تقديم بلاغ ضد المعتدى إحدى الخطوات المهمة التى من المتوقع أن تسهم فى شعور الضحية بالارتياح كما أنها تعاقب المعتدى وبالتالى تحد من إمكانية حدوث الاعتداء مرة أخرى. ومع ذلك تشير التقديرات إلى أن ما يتم فى الواقع فعلاً من بلاغات هو نسبة ضئيلة جدًا وقد يعود ذلك لأسباب عديدة منها؛ ضعف الثقة فى رجال الشرطة والخوف من الفضيحة والخوف من انتقام المعتدى وبطء الإجراءات القانونية والخوف على المعتدى نفسه إذا كان أحد الأقارب أو على علاقة عاطفية بالضحية والخوف

من اللوم المجتمعى الذى قد تتعرض له الضحية. ومن ثم يمكن القول أن حتى استجابة ضحية الاعتداء الجنسى التى يمكن اعتبارها توافقية قد تصطدم بكثير من العراقيل التى يسهم فيها سياق مجتمعى غير مساند لضحايا الاعتداء الجنسى.

الخاتمة

الاعتداء الجنسى هو أحد المشكلات الاجتماعية التى عانت منها المجتمعات الإنسانية على مر التاريخ ولازالت، وهو مشكلة لم ينجو منها سواء المجتمعات المتقدمة أو الأقل تقدمًا كما أن جميع الأفراد فى كل المستويات والأعمار عرضة لها وإن كانت هناك عوامل تقلل من احتمالية وقوع أفراد ضحية له وعوامل تزيد من هذا الاحتمال.

رغم وجود كثير من الظواهر التى تشير إلى انتشار المشكلة أو ظهورها بشكل مهدد فى المجتمع المصرى، إلا أن هناك نقص واضح فى الدراسات العلمية المنضبطة عن حجم الظاهرة والمتغيرات المتعلقة بها.

توجد عديد من العوامل التى تضاعف من معاناة ضحية الاعتداء الجنسى من أهمها تعرضها للوم كونها مسئولة جزئيًا أو كليًا عن وقوع الاعتداء عليها. ويسهم فى تضخيم هذا اللوم وزيادته وجود تربة خصبة فى المجتمعات العربية بصفة عامة والمجتمع المصرى بشكل خاص تسمح بتوجيه العنف ضد المرأة (وهى من أكثر الفئات عرضة للاعتداء الجنسى)، كما أن نظام العدالة الجنائية لم يتطور بالشكل الملائم لمساعدة ضحايا الاعتداء الجنسى فى كل المراحل سواء على مستوى الوقاية أو العلاج أو التأهيل أو التعويض.

توجد عوامل عدة تسهم فى حدوث الاعتداء الجنسى بعضها يتعلق بالبيئة الفيزيقية والاجتماعية للاعتداء وبعضها يخص ضحية الاعتداء وتشمل المتغيرات الديموجرافية والمعرفية والوجدانية وبعضها يتعلق بالمعتدى جنسيًا وتشمل المتغيرات الديموجرافية والمعرفية والوجدانية أيضًا.

ترجع نظرية الأنشطة الروتينية الوقوع ضحية الاعتداء الجنسى لدور النشاط اليومى الروتينى التى تقوم به الضحية وأسلوب حياتها، بينما ترى النظرية النسوية أهمية القوة التى يملكها الرجل فى المجتمعات الأبوية والتى تمنحه سيطرة على المرأة، فى حين ترى النظرية العامة فى الجريمة دور القدرة على التحكم الذاتى فى تعريض الفرد نفسه لمواقف تجعله ضحية للاعتداء الجنسى.

تستجيب كل الدول والمجتمعات بأسلوب ودرجات مختلفة تجاه الاعتداء الجنسى تبعًا لمدى تقدمها وإمكانيات المواجهة لديها ومدى وعى أفرادها. بعض هذه الاستجابات يتم فى إطار رسمى كوضع التشريعات والقوانين اللازمة لتجريم الاعتداء الجنسى وبعضها يتم بشكل غير رسمى كتبنى جمعيات أهلية ومنظمات حقوقية غير رسمية لبرامج بحثية أو تأهيل أو تعويض لضحايا الاعتداء الجنسى.

يختلف الدور الذى تقوم به ضحية الاعتداء الجنسى بحسب مرحلة الاعتداء؛ فقد تسهم ضحية الاعتداء الجنسى فى حدوث الاعتداء مثلما يكون لها دور ميسر Facilitation أو محفز Provocation فيه مثلما أوضحت الإرهاصات المبكرة لدور ضحايا الجريمة فى الجريمة بشكل عام ودور ضحية الاعتداء الجنسى فى الاعتداء الجنسى بصفة خاصة كما أن سمات ضحية الاعتداء الجنسى تلعب دورًا جوهريًا فى تسهيل أو إعاقة حدوث الاعتداء فالضحايا من النساء الأصغر سنًا من طبقات تعليمية واجتماعية منخفضة ذوات سمعة سيئة ومظهر مُنتقد من قبل الثقافة (كأن يكون شكل الملبس مغرى أو طريقة الكلام أو الحركة) أكثر عرضة من غيرهم للوقوع ضحية الاعتداء الجنسى لاسيما فى ظل سياق ثقافى وموقفى مشجع على الاعتداء.

يظهر دور ضحية الاعتداء الجنسى أيضًا بعد بدء الاعتداء فى سلوك الدفاع الذاتى الملائم للموقف والقادر على ردع الضحية وهو سلوك متعلم قد يسهم فى تنميته وتطويره برامج الوقاية والحماية التى توضع للأفراد الأكثر عرضة للاعتداء الجنسى ولضحايا الاعتداء الجنسى.

دور ضحية الاعتداء الجنسى سواء فى الوقاية منه أو التغلب عليه أو التأهيل منوط باستراتيجيات يتم وضعها بناء على دراسات انتشارية (وبائية) لتقدير حجم المشكلة وأبعادها والجوانب المختلفة فيها ودراسات تجريبية لتصميم البرامج الملائمة للوقاية والتأهيل والعلاج والتدريب. كما أنه منوط أيضًا بزيادة الوعى المجتمعى بمشكلة الاعتداء الجنسى وتوفير سياق صحى يمكن من خلاله أن تمارس ضحية الاعتداء الجنسى دفاعًا عن نفسها دون خوف من لوم أو عقاب من المجتمع بل مع توقع تشجيع ومساندة.

المراجع

١- أحمد المجدوب، اغتصاب الإناث فى المجتمعات القديمة والمعاصرة. القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الثالثة، ١٩٩٦م ، ص ص١١-٨٥.

٢- Butchart, A., Garcia-Moreno, C., Mikton, C, Preventing Intimate Partner and Sexual Violence Against Women Global Trends and Determinants of Prevalence, Safety, and Acceptability. Geneva: World Health Organization, 2010. Retrieved from http://whqlibdoc.who.int/publications/2010/9789241564007_eng.pdf.

٣- Ward, J., & Marsh, M., Sexual Violence Against Women and Girls in War and Its Aftermath: Realities, Responses, and Required Resources. In Symposium on Sexual Violence in Conflict and Beyond , 2006, Vol. 21, p. 23.

٤- Testa, M., & Dermen, K. H. The Differential Correlates of Sexual Coercion and Rape, Journal of Interpersonal Violence. 1999, 14(5), pp 548–561.

٥- Daigle, L. E. Victimology: A Text/reader. USA. SAGE Publications, 2012, pp 171-173.

٦- Bekele, A. B., Van Aken, M. A. G., & Dubas, J. S. Sexual Violence Victimization Among Female Secondary School Students in Eastern Ethiopia. Violence and Victims, 2011, 26(5), pp 608–630.

٧- WHO, Understanding and Addressing Violence Against Women, World Health Organization, 2012,

http://apps.who.int/iris/bitstream/10665/77434/1/WHO_RHR_12.37_eng.pdf , 3-5-2013.

٨- المركز الفلسطيني للديمقراطية وحل النزاعات، قطاع غزة، فلسطين، ٢٠٠٩. مأخوذة من http://ncys.ksu.edu.sa/sites/ncys.ksu.edu.sa/files/harassment ، ٢٠١٣/٨/١٠.

٩- سهير عبد المنعم، التحرش الجنسى بالإناث فى المجتمع المصري بين الواقع الاجتماعي والمواجهة الجنائية،ورقة مقدمة فى حلقة نقاشية بعنوان "التحرش الجنسى بين القانون والمواجهة الجنائية"، القاهرة، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، ٢٠١٣، ص ص ١٩-٢٧.

١٠- Abul Komsan, Nahed; Hassan, Rasha, Shoukry, Aliyaa, "Clouds in Egypt's Sky "Sexual Harassment: From Verbal to Rape' Egyptian Center for Women Right (ECWR). 2008, p . http://egypt.unfpa.org/Images/Publication/ 1-5-2013.

١١ - مديحة عبادة وخالد كاظم، الأبعاد الاجتماعية للتحرش الجنسى فى الحياة اليومية: دراسة ميدانية بمحافظة سوهاج، القاهرة، دار الفجر للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨.

١٢- Kappler, K. E. Theoretical framework: Sexual violence in the Frame of Everyday Life. In Living with Paradoxes Retrieved from http://link.springer.com/chapter/10 , 2012(pp. 19–47).

١٣- ناهد رمزى وعادل سلطان. العنف ضد المرأة: رؤى النخبة والجمهور العام، القاهرة، الجمعية الوطنية للتنمية البشرية والبيئية،١٩٩٩، ص ص ٥-٦.

١٤- معتز سيد عبد الله، العنف فى الحياة الجامعية ، أسبابه ومظاهره والحلول المقترحة لمعالجته، منشورات مركز البحوث والدراسات النفسية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ٢٠٠٥، ص١٩.

١٥ - انظر على سبيل المثال:

- جنان أسطا، وآخرون، الإساءة الجنسية للطفل: الوضع فى لبنان. لبنان، منظمة كفى عنف واستغلال، المجلس الأعلى للطفولة، وزارة الشئون الاجتماعية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨.

١٦- المرجع السابق، ص ١٢.

١٧- معجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٤ ، ص ١٦٦.

١٨- Cohen,L., Felson, M. Social Change and Crime Rate Trends: A Routine Activity Approach, American Sociological Review, 44, 1979, 588-608.

١٩- Daigle, L. E. Victimology: A Text/reader. op. cit, p33.

٢٠- Franklin, C; Franklin, T; Nobles M and Kercher G. Risk Factors Associated with Women's Victimization, Crime Victims' Institute, Criminal Justice Center, Sam Houston State University, USA, 2011, p3.

٢١- Gottfredson, M., and Herschi T. A General Theory of Crime, Palo Alto, CA: Stanford University Press, USA, 1990.

٢٢- Schreck, C. Criminal Victimization and Low Self-control: An Extension and Test of a General Theory of Crime. Justice Quarterly, 1999, 16, 633-665.

٢٣- Amick, A. E., & Calhoun, K. S. (1987). Resistance to Sexual Aggression: Personality, Attitudinal, and Situational Factors. Archives of Sexual Behavior, 16(2), pp153–163.

٢٤- Hassan, Mona; Mehanaa, O; Samara A. If She Is Respectable, No One Will Harm Her: Attitude of Egyptian young Men Toward Sexual Harassment of women, In Abdel-Tawab N et al (Breaking The Silence: Learning About Youth Sexual and Reproductive Health In Egypt, Report by International Population Council in Egypt, 2011, pp 95-117.

٢٥- Abul Komsan, Nahed; Hassan, Rasha, Shoukry, Aliyaa, "Clouds in Egypt's Sky "Sexual Harassment: From Verbal to Rape' Egyptian Center for Women Right (ECWR). 2008, p . http://egypt.unfpa.org/Images/Publication/ 22-5-2013.

٢٦- Amick, A. E., & Calhoun, K. S. Resistance to Sexual Aggression: Personality, Attitudinal, and Situational Factors. op. cit,.

٢٧- Collins, M. E. Factors Influencing Sexual Victimization and revictimization in a Sample of Adolescent Mothers. Journal of Interpersonal Violence, 1998, 13(1), 3–24.

٢٨- عنان أبو صالح، مفهوم وتحليل ظاهرة العنف الجنسى الواقعة على الفتيات الفلسطينيات فى إسرائيل حسب وجهة نظر مراكز المساعدة www.dirasat-aclp.org/arabic/files/kitab2012-dirasat-9.pdf ، ١٢-٦-٢٠١٣.

٢٩- مديحة عبادة وخالد كاظم، الأبعاد الاجتماعية للتحرش الجنسى فى الحياة اليومية: دراسة ميدانية بمحافظة سوهاج، مرجع سبق ذكره، ص١٥٢.

٣٠- Nazra for Feminist Studies, Compilation of Sexual Violence Testimonies Between 2011and 2013. Retrieved from http://nazra.org/sites/nazra/files/attachments/compilation-_of_sexual-violence_-testimonies_between_20111_2013, 2013, 10 July.

٣١- Reilly M, Lott B, Caldwell D, DeLuca L,. Tolerance For Sexual Harassment Related to Self-Reported to Sexual victimization, Gender & Society, Vol. No 6, March 1992, pp 122-138.

٣٢- Ibid.

٣٣- Muehlenhard, C. L., & Linton, M. A. Date Rape and Sexual Aggression in Dating Situations: Incidence and Risk Factors. Journal of Counseling Psychology, 1987, 34(2), 186.

٣٤- See:

- Amick, A. E., & Calhoun, K. S. Resistance to Sexual Aggression: Personality, Attitudinal, and Situational Factors. op. cit .
- Atkeson, B. M., Calhoun, K. S., & Morris, K. T. (1989). Victimresistance to Rape: The Relationship of Previous Victimization, Demographics, and Situational Factors. Archives of Sexual Behavior, 18(6), 497–507.

٣٥- Abbey, A., Ross, L. T., McDuffie, D., & McAuslan, P. Alcohol and Dating Risk Factors for Sexual Assault Among College Women. Psychology of Women Quarterly, 1996, 20(1), 147–169.

٣٦- Kalof, L. Ethnic Differences in Female Sexual Victimization. Sexuality and Culture, 2000, 4(4), 75–98.

٣٧- Atkeson, B. M., Calhoun, K. S., & Morris, K. T. Victim Resistance to Rape: The Relationship of Previous Victimization, Demographics, and Situational Factors. op.cit.

٣٨- Reilly M, Lott B, Caldwell D, DeLuca L,. Tolerance For Sexual Harassment Related to Self-Reported to Sexual victimization, Gender & Society, Vol. No 6, March 1992, pp 122-138.

٣٩- محمد على قطب، التحرش الجنسى: أبعاد الظاهرة... آليات المواجهة دراسة مقارنة بين القوانين الوضعية والشريعة الإسلامية، القاهرة، إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٨ ، ص ص ٦٧-٨٨.

٤٠- Resick, P. A., Jordan, C. G., Girelli, S. A., Hutter, C. K., & Marhoefer-Dvorak, S. (1988). A Comparative Outcome Study of Behavioral Group Therapy for Sexual Assault Victims. Behavior Therapy, 19(3), 385–401.

٤١- Brecklin, L. R., & Ullman, S. E. (2004). Correlates of Postassault Self-Defense/ Assertiveness Training Participation for Sexual Assault Survivors. Psychology of Women Quarterly, 28(2), 147–158.

٤٢- Daigle, L. E. Victimology: A Text/reader. op. cit, pp. 2-5 .

٤٣- Charron, T.J; Floren, R; Long, J.G, Labahn, D, Victim Response To Sexual Assault: Counterintuitive or Simply Adaptive?. National District Attorneys Association, American Prosecutors Research Institute, 99 Canal Center Plaza, Suit 510, Alexandria, Virginia, USA, 2007.

٤٤- See
- Brecklin, L. R., & Ullman, S. E. Self-Defense or Assertiveness Training and Women's Responses to Sexual Attacks. Journal of Interpersonal Violence, 2005, 20(6), 738–762.
- Brecklin, L. R. Self-Defense/Assertiveness Training, Women's Victimization History, and Psychological Characteristics. Violence Against Women, 2004, 10(5), 479–497.
- Brecklin, L. R. Self-Defense/Assertiveness Training and Women's Responses to Rape Attacks (Ph.D.). University of Illinois at Chicago, United States -- Illinois. 2002.

٤٥- مديحة عبادة وخالد كاظم. الأبعاد الاجتماعية للتحرش الجنسى فى الحياة اليومية: دراسة ميدانية بمحافظة سوهاج، مرجع سابق، ص ١٥٠.

Abstract

THE ROLE OF THE VICTIM IN THE SEXUAL ASSOULT PROBLEM AND INTERVENTIONS

Saber Abd El Mawgoud

This paper aims to highlighting the positive and negative role of the victim in the sexual assault with all its types through using qualitative analysis of field and theoretical studies about sexual assault and its types (e.g., sexual harassment and rape). Initially, the paper refers to the Prevalance of sexual assault on the international, regional and local levels. The paper discusses how the community blames the victim nevertheless all the sufferings from the sexual assault. Moreover, it determines the meaning of the sexual assault and its victim and the role of the sexual, revictimization, victimization prevention and the reduction of the sexual victimization, impacts through three axes: First, the theories which explain sexual victimization and the role of the victim in it. Second, the variables which contribute in sexual victimization and the role of the victim in it. Third, the sexual victimization responses on individual, social, and community levels and the Victim responses in the defferent sexual victimization stages and how these responses contribute in revictimizing or at stopping it. The paper ends with a conclusion which displays the most important frindings.